# المكوّن الزمني السردي في رواية "المستنقع" لـ حنّا مينة
## -مقاربة بنيوية سردية-

أ.عليمة حمزاوي
مخبر تحليل الخطاب والترجمة
جامعة تبسة

الملخص:

سعى هذا المقال إلى الوقوف على المكوّن الزمني السردي في رواية "المستنقع" لـ حنّا مينة، باعتباره أحد المكونات الأساسية للنصوص الحكائية إذ به يتشكل البناء الداخلي للمتن الحكائي، ويتم توظيفه بأشكال مختلفة ذات أبعاد دلالية تمنح للنص صفة الجمالية وللقارئ أبعاد تأويلية في فهم هذه البنية الحكائية التي ساهمت بشكل كبير في خلق المعنى وكيفية تشكله في الخطاب السردي، مستلهمين منهج جيرار جينت للدراسة والتحليل وفقا للترتيب والاستغراق(المدة)الزمنيين، ونظرا لأهمية الزمن في حقل السرديات على أساس أن النص الروائي يشكل في جوهره بؤرة زمنية متعددة الحضور بمختلف تمظهراته فقد تم توظيفه في هذه الرواية بأشكال مختلفة ظهرت في: الاسترجاعات الداخلية والخارجية، التكرارية، التكميلية، الاستباق أيضا الداخلي والخارجي، الحذف، المشهد الخلاصة، الوقفة، على أن استرجاع الأحداث الماضية كان لها حضورا قويا شغل مساحة كبيرة من حيز النص لأن الرواية تحكي عن سيرة ذاتية بطلها الكاتب نفسه حنّا مينة الذي استرجع ذكريات طفولته البائسة وسرده لمعاناته وآلامه بسبب وضعه الاجتماعي المزري.

الكلمات المفتاحية: الزمن، الرواية، الدلالة، مقاربة، البنيوية السردية.

Summary:

This article sought to stand on the temporal component of the narrative in Hanna Mina's novel "The Swamp", as one of the basic components of Gaiah's texts that its internal construction consists of the Gaii board, and are used under various shapes with tag dimensions given to the text interpretation interpretation aesthetic dimensions of the recipe and the reader in the understanding of this Gaiah structure that has contributed significantly to the creation of meaning and the way it has formed in the narrative discourse, inspired by the Gérard Jeannet approach for the study and analysis according to the order and immersion deadlines (duration), and taking into account the importance of the time in the field of the narratives on the basis that the narrative text essentially a focus repeatedly the public with various t Zarath was used in this novel in various forms appeared in: callbacks, internal and external, repetitive , complementary, preemption also internal and external, deletion, summary of the scene, pause, that the retrieval of past events had a strong presence filled much of the text of the space because the novel tells about from his biography of hero writer Hanna mina himself, who recalled the memories of his childhood and miserable narrative of suffering and pain because of his miserable social status.
Keywords: time, novel, meaning, approach, structural narrative.

تمهيد:

شغلت نظرية السرد اهتمام العديد من النقاد والباحثين في ساحة النقد العربي، نظرا لما أتاحته من وسائل وآليات إجرائية ساهمت في مقاربة الخطابات السردية بكل أشكالها من حكاية، قصة، رواية، سيرة ذاتية، سيرة شعبية وغيرها، ولاسيما الرواية "التي احتلت الصدارة، ولا تزال محل اهتمام النقاد لكونها تمثل ملحمة العصر الحديث وسجل المجتمع البشري، تطرح بطريقتها الفنية المتميزة القضايا التي شغلت الإنسان وتشغله، فكما استطاعت أن تعالج الإشكاليات الفكرية والاجتماعية والسياسية

والنفسية استطاعت أن تكون بمثابة سجل تاريخي لحياة الإنسان، يجد فيها القارئ والباحث على السواء مايبحث عنه"[1]، وقد استطاع الكثير من النقاد تحقيق العديد من الممارسات والإنجازات ضمن هذا المجال.

وقد ظهرت هذه النظرية بفضل الجهود النقدية الفعّالة التي قامت بها المدرسة الشكلانية الروسية أمثال : كلودليفي شتراوس،توماشفسكي، رومان جاكبسون(R.jakobsene) وغيرهم، والبنيوية الفرنسية من أمثال: تزفيتان تودروف(T.Todorov)، جيرار جينت(G.Genette) رولان بارت(R.Barthe) وغيرهم هؤلاء الذين انطلقوا من الإرث الشكلاني الروسي في تأسيس نظرية للبنيوية الفرنسية حيث أسهموا بأطروحاتهم النقدية وممارستهم التطبيقية في بلورة مفاهيم أساسية لعلم السرد(*)، على أن الانطلاقة الحقيقية التي اهتمت بالنص السردي كانت على يد فلاديمير بروب (V.Proppe)في كتابه "مرفولوجية الحكاية الخرافية" (**)حيث عدّت أبحاثه منطلقا أساسيا لحركة النقد الجديد عموما والمدرسة الفرنسية خاصة.

بناء على ذلك آثرنا في هذه الدراسة اعتماد منهج جيرار جينت(***)في التحليل البنيوي للخطاب السردي مركزين على مستوى الزمن خلافا للمستويين الآخرين: الصيغة(The formula)، التبئير(Focusing)،باعتبار الزمن(****)(Time)"هو أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي، وهو يمثل العنصر الفعّال الذي يكمل بقية المكونات الحكائية ويمنحها طابع المصداقية"[2].

وتتمثل المكونات الأخرى في : الشخصية، والمكان، فكل هذه البنيات تساهم بشكل كبير في تشكل البناء الداخلي للمتن الحكائي وتمنحه أبعادا دلالية تكسب النص صفة الجمالية، فلا يمكن التخلي عن أي مكوّن من هذه المكونات، لأنها البنيات الأساسية التي يقوم عليها كل شكل من أشكال الخطاب السردي .

ونظرا لأهمية الزمن في حقل الدراسات السردية باعتبار أن الرواية هي "شكل زمني بامتياز لكونها الشكل الوحيد الذي باستطاعته التقاط الزمن وتشخيصه في تجلياته المختلفة، الميثولوجية، التاريخية، الفلسفية، البيوغرافية ...الخ"؛[3]بمعنى أن النص الروائي يشكل في جوهره بؤرة زمنية متعددة الاشتغال والحضور بمختلف تمظهراته(الزمن) في كل موضع من الرواية، فإننا سنحاول الوقوف في هذا المقال على المكوّن الزمني فحسب في رواية "المستنقع"(*)لـ حنّامينة، لمعرفة مدى تشكله داخل منظومة الحكي، وكيفية حضوره واشتغاله في بناء هذا المتخيل السردي، وفقا للترتيب والاستغراق ( المدة) الزمنيين .

## 1-الترتيب الزمني:(The order of time)

إذا كانت الروايات التقليدية تقوم على نظام التعاقب الزمني بالحفاظ على الترتيب الزمني للأحداث وعلى النظام الخطي للسرد، فإن الدراسات الحديثة أحدثت خرقا لهذا النظام بفعل العديد من التقنيات التي يستخدمها الراوي بهدف كسر تراتبية الأحداث التي تظهر في الاسترجاع، الاستباق تداخل الأزمنة، كل هذه الإجراءات يطلق عليها مصطلح "المفارقات السردية "(**).

### 1-1-الاسترجاع: (Analepsis)

يعد الاسترجاع من أكثر الخروقات الزمنية التي يتم توظيفها في النص الروائي، لأن الراوي يستخدم هذه التقنية بهدف خلخلة النظام الزمني، لتحقيق وظيفة فنية جمالية للنصوص الروائية، "بإعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية (شخصية ، إطار عقدة)"[4]، كالتذكير مثلا بشخصية اختفت عن مسرح الأحداث لفترة زمنية ما، أو التذكير بأحداث ماضية تخدم موضوع النص، لذلك "فإن كل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد استذكارا يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله

على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة "[5] وتسمى المسافة الزمنية التي تفصل بين زمن الحكي الأول الآني، والحكي الثاني الاستذكاري ( المسترجع) بـ: المحمول (scope)، في حين يطلق على المدة التي تغطيها المفارقة بـ: السعة (Amplitude)[6]وإذا كان "مدى الاستذكار يقاس بالسنوات والشهور والأيام، فإن سعته سوف تقاس بالسطور والفقرات والصفحات التي يغطيها الاستذكار من زمن السرد"[7].

وقد تم تقسيم الاسترجاع إلى ثلاثة أنواع هي:

أ-الاسترجاع الداخلي.

ب-الاسترجاع الخارجي.

ج-الاسترجاع المختلط.

وسنتبع كل نوع من هذه الأنواع في رواية "المستنقع" لمعرفة مدى توظيفها واشتغالها فيه.

أ-الاسترجاع الداخلي:(internalanalsepse)

يعرف هذا النوع بأنه "رجعات يتوقف فيها تنامي السرد صعودا وهبوطا من الحاضر نحو المستقبل، ليعود إلى الوراء، قصد ملئ بعض الثغرات(les éllipses) التي تركها السارد خلفه، شريطة ألا يتجاوز مداها حدود زمن المحكي الأول، ليصل لما هو أقدم وأسبق من بدايته، مما قد يعرض السرد لخطر التكرار والتداخل "[8].

بمعنى أن السارد يسترجع أحداث ماضية مرتبطة بزمن المحكي الأول، لأنها جزء منه لا يمكن الانفصال عنه، إلا أن هذا الاسترجاع كما يرى البعض قد يجعل الأحداث متداخلة ومتكررة.

حفلت رواية " المستنقع" بالعديد من الاسترجاعات من بداية الرواية إلى نهايتها، حيث احتلت هذه التقنية مساحة كبيرة من حيز النص؛ لأن الرواية تحكي عن سيرة ذاتية بطلها الكاتب نفسه حنّامينة الذي تحدث بلسان الطفل عن حياته الطفولية البائسة، وعن الفقر والشقاء والعذاب الذي تعرض له بالإضافة إلى الاضطهاد الذي مارسته سلطة فرنسا على سوريا، فتنوعت الاسترجاعات بين داخلية وخارجية والقليل منها مختلطة.

ومن بعض شواهد الاسترجاعات الداخلية نجد :

-"كل ما أذكره أننا نزلنا في غرفة طينية من حوش كبير (...)وقد قبلت الوالدة ،دون اعتراض هذه المرة، أن تخدم في بيت السيد، وتعمل مع الوالد في الحقل،مستشعرة بعض الطمأنينة لقربنا من المدينة حيث بإمكاني أن أذهب إلى المدرسة وبإمكانها أن ترى أختنا الخادم ، وتأمن شر ذلك الضياع الذي ترسب في أجفانها خوفا تنتفض له كلما تذكرته"[9].

يسترجع السارد قصة عودته هو وعائلته إلى بيت السيد خريستو بـ اسكندرونة، بعد أن هربوا منه بسبب قسوته وظلمه لهم، لكن الوالدة أحست بشيء من الراحة لأنها بقرب المدينة التي توفر لها ولأبنائها التواصل مع المجتمع وفيما بينهم وتمنح لهم حق التعليم ومزاولة الدراسة.

وفي سياق حكائي آخر يورد السارد حادثة مرض والده الذي ارتبط بفاكهة البرتقال في قوله:"وتذكرت فورا برتقالات باحة الدار التي ولدت فيها، وحادثة مرض والدي التي اقترنت بها، لكنني لم أستطع تحويل نظري عن أشجار البرتقال التي كانت تمتد في صفوف طويلة بدت لي غير نهائية"[10]؛ فرغم أن فاكهة البرتقال ذكّرته بحادثة مرض والده، إلا أنه لم يستطع أن يخفي ذلك الجانب الإيجابي النفعي لهذه الفاكهة، بجمالها وكثرتها التي ظن أنها غير نهائية، وفي قوله أيضا :"كانت الوالدة قد بدأت تعمل خادما في أحد البيوت، ولم يبق في البيت إلا أنا وأختاي، وكان الوالد، وقد أصابه مرض غريب يتشنج ويغيب عن

الوعي، وصرت أدور حول فراشة وأبكي، وأدعو الله أن يلطف بحالنا ويشفيه، وقد فتح عينيه ورآني، فأخذ يدي في كفه وقال: لا تخف يا بني لن أموت غدا أشفى وإذا طال المرض ذهبت إلى الطبيب"[11]، يسترجع السارد حادثة مرض والده مرة أخرى الذي أحدث في نفسه ألما ظنا منه أن والده سيموت ومدى تأثير ذلك على عائلته، بالإضافة إلى عمل أمه كخادمة في البيوت، جعله يقف عند هذه المحطات القاسية في حياته ويسردها بكل دقة وكأنه يعيشها الآن.

كما يسترجع السارد الواقع المر والأوضاع المزرية التي عاشها رفقة عائلته وسكان الحي، والمكان القذر الذي اتخذوا منه مكانا للعيش فيه ألا وهو "المستنقع" وكل مايحتويه من حشرات، جرذان، فئران، وأفاعي وغيرها من خلال هذا المقطع السردي الذي صور فيه هذه المعاناة بكل أنواعها تصويرا دقيقا حين يقول :"فكنا نحن الذين هاجرنا من السويدية، أو الذين طردتهم المدينة لفقرهم وسوء حالهم، أو الذين جاءوا من أصقاع شتى وبنوا أكواخا من القش أو التنك، تؤلف السكان الفعليين للحي، كنا عشيرة من الفقراء الجياع، العرايا، الذين يعملون في تنظيفات المدينة، وفي العتالة، والميناء، والذين لاعمل لهم، والمغامرين والسكيرين واللصوص، والذين يمارسون كل أصناف الرذائل ويشكلون كل نفايات المدينة، وكان هؤلاء الناس يختلطون بأهل المدينة نهارا، وفي الليل تفرزهم إلى هذا المستنقع ليعيشوا بين مياهه القذرة ودروبه الموحلة وأدغاله وحشراته، وعندما، في الشتاء، ترتفع المياه وتغمر الأدغال والأكواخ على السواء، تنساح إلى المدينة فتلوثها. وهكذا كان التبادل قائما بين الطرفين يرغموننا على أن نعيش في الطين، ونحمل هذا الطين معنا إليهم ونلوثهم به"[12].

بالإضافة إلى استرجاعه لحالة أخته الضريرة وحزنه وأسفه عليها بعدم رؤيتها للدنيا واللعب مع أخيها، ثم موتها في سن مبكر جدا نتيجة مرض غريب أصابها، فأحدث في نفسه جرحا عميقا لا يشفى وهذا المقطع السردي يوضح ذلك :" كانت الأخت الضريرة هي الوحيدة الباقية، ولم أكن أستطيع اللعب معها، وكنت أحزن إذا أراها تخطو فلا تبصر طريقها، فتصطدم بأثاث البيت وتقع، وعندئذ كنت أهرع إليها وأحملها وأقبلها وكنت أصلي لأجلها كما علمتني الأم، وأنتظر مثلها معجزة تعيد البصر إليها، لكن البصر لم يعد إليها وا أسفاه. لم يكتب لها أن ترى هذه الدنيا وتفرح بمرأى السماء الزرقاء (...) بل اختارت طريقا آخر (...) إذ ذهبت ذات ليلة إلى غير عودة،وماتت وهي طفلة صغيرة (...) بعد مرض غريب لم يدم سوى أيام "[13]، ولم تقف هذه الفاجعة عند فقدان هذه الصغيرة فحسب، بل استرجع السارد أيضا وفاة"أخته الصغيرة الأخرى بعد مرض قصير فلحقت بالأخت الضريرة التي سبقتها"[14] وصور لنا مشهدا دراميا أخذ من مساحة النص ما يقارب أربع صفحات، كله بكاء وعويل على فراق هذه الطفلة ،"فدخلت غيمة الصمت السائدة، جو البيت، وانكسر نظري على الأرضية الترابية والجدران العارية، وأشفقت، بغير تحفظ، على الوالد، وسقطت دمعة من عيني وأنا أنظر إلى مكان أختي الشاغر "[15].

أ1-الاسترجاعات التكميلية :

يطلق عليها أيضا مصطلح الإحالات ، وهي "تضم المقاطع الاستعادية التي تأتي لتسد بعد فوات الأوان، فجوة سابقة في الحكاية"[16] ؛بمعنى أن هذه الاسترجاعات هدفها هو تكملة ذلك النقص الذي يصيب الحقل الزمني للأحداث تكون بمثابة سد لتلك الثغرات والفجوات لتدارك أي نقص في الاستمرار الزمني، وهذه بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

-"ففي الربيع من ذلك العام نظّمت المدرسة رحلة إلى أنطاكية وطلبت المعلمة من كل تلميذ أربعة قروش للاشتراك في الرحلة على أن يحضر طعامه معه، شرع التلاميذ بإحضار قروشهم المطلوبة، واقترب موعد الرحلة ولم أحضر القروش الأربعة، كنت أعرف أننا على درجة من الفقر(...) صممت على عدم الذهاب، وفي اليوم السابق للرحلة، أوقفتني المعلمة في الصف

وسألتني لماذا لم أحضر ماطلبته مني فلذت بالصمت(...)فلما اتخذ سكوتي صفة التحدي تناولت المسطرة وضربتني(...) لم أصرخ أو أبكي، لكن ابن خالي الذي كان معي في صف واحد، طلب الكلام فأذنت له المعلمة، فقال بصوت سمعه جميع التلاميذ أهله فقراء، وأمه خادم (...) وكنت وحيدا في غرفة الصف حين دخلت المعلمة التي عاقبتني، وقفت احتراما لها وجلست صامتا (...) وعادت إلي فوضعت في يدي خمسة قروش(...)رفضت القروش الخمسة أحسست بشعور من الامتنان تجاه المعلمة "[17].

يسترجع السارد حادثة القروش الأربعة أثناء تنظيم المدرسة لرحلة أنطاكية وعدم دفعه هذه القروش نتيجة فقره الشديد ولم يكن باستطاعته توضيح هذا الأمر لمعلمته مما أوقعه في حرج شديد أمام زملاءه لأنه كان يظن أن تصريحه بحالته هو عيب وذل، لكن بعد فترة طويلة يسترجع السارد أيضا هذه الحادثة التي كان لها وقعا كبيرا في نفسيته، والتي أخذت من حيز النص خمس صفحات، لكن بصيغة الاسترجاع التكميلي للموقف السابق في محاولة شرحه ومقارنته بموقف آخر أو بحادثة مشابهة تكلمت عنها المعلمة عن الابن الشاطر وتجربته في الحصول على المال عن طريق العمل وإن باءت بالفشل، فهي في نظرها أفضل من الشخص الكسول الذي لم يكلف نفسه أي عناء للخوض في التجارب، وهدفها من سرد هذه الحكاية هو أخذ الموعظة وتقديم النصيحة لتلاميذها، وهذا المقطع السردي يوضح ذلك :" وتسمع المعلمة كل ما يقال دون أن تتكلم .كانت تقرأ خجلي في عيوني، وتذكر قصة الرحلة إلى أنطاكية والقروش الأربعة، وتعرف حساسيتي وصعوبة أن تستدرجني إلى الكلام على وضعي العائلي، لذلك ترنو إلي وفي عينيها إشفاق ومواساة (...) وقد حكت لنا عن الابن الشاطر الذي طلب من والده حصته من الميراث، وذهب في تجارة فخسرها (...) رفض أن يقعد كسولا في بيت أبيه (...) فجرّب ولم ينجح، وهو في تجربته هذه، حتى وإن كانت فاشلة، أفضل من الذين لم يذهبوا ولم يجربوا"[18].

أ2-الاسترجاعات التكرارية :

يعرف أيضا بمصطلح تذكيرات،"وهي عودة الحكاية على أعقابها جهارا وأحيانا صراحة، ولا يمكن لهذه الاسترجاعات التذكيرية أن تبلغ أبعادا نصية واسعة جدا إلا نادرا، بل تكون تلميحات من الحكاية إلى ماضيها الخاص، أي مايسميه ليمّرت Ruckgriffe أو عودات إلى الوراء"[19]. ومن بين هذه الاسترجاعات نجد:

-" وأروح وأسترجع كل الماضي الذي عشته، وكل الآلام والعذابات التي عرفتها عائلتنا، ومن عجب أن تلك العذابات، حتى في أبشع صورها كانت تبعث حينا إلى الريف، حيث الفضاء الرحب والشمس الساطعة والحقول والمطر، والموقد الذي نتحلق حوله أيام البرد، والأم تقص علينا حكاياتها العجينة "[20].

كشف لنا السارد عن المتاعب والآلام التي عانى منها هو وعائلته، حيث كان يسترجع هذه العذابات في كل مرة وكان يكرر هذه الذكريات المؤلمة من بداية الرواية إلى نهايتها ولاسيما حالة السكر التي صاحبت والده فتكرر ذكرها في العديد من المواضع من بينها:

-" والوالد الذي تعتاده ذكرى أخويه عندما يشرب ينساها عند الصحو".[21]

-" وأنت في هذه الحال من السكر، فكيف أتركك (...) وهجم عليها يحاول ضربها (...) وعندئذ انقلب إلى الضحك وهذا ما روّعني، كان لا يستطيع الثبات على قدميه (...) لقد أشفقت على الأم، وخفت عليها من الضرب، واحتضنتها لا أريد أن أفارقها، وتألمت لوضع الأب، بدا لي في تلك الساعة غريبا وكريها، بدا لي نفاية لا يصلح لشيء، وأنه لا يفعل سوى تعذيب الأم، وأنه يجلب لنا الذل والعار" [22].

-" وطفقت امارات السكر تظهر عليه، وكان علي، من بعد، أن أشهد خاتمة سكره المأساوية ،فقد أنفق أكثر ما معه، وكاد يتشاجر مع السكارى من أمثاله (...)لقد أحسست هناك بالاختناق، وبكل مشاعر البؤس والعار وحاولت أن أسند والدي كيلا يسقط، إلا أنه سرعان ما تهادى على الرصيف (...) صفعني وهو لا يدري ما يفعل فتشبثت به وأنا أبكي (...)كأن شيء ما يفور في ذاتي ضد والدي، شبيه بذلك الذي يستولي على أمي حين يأتون به ثملا إلى البيت"[23].

تحيل هذه المقاطع السردية إلى حالة سكر الوالد المتكررة التي تعد سببا رئيسيا في تشرد أبناءه وفقر عائلته وخروج زوجته للعمل كخادمة نتيجة ضياع ماله وعقله وعدم تحمل مسؤولية أسرته وممارسة العنف ضد زوجته مما ولّد في نفس السارد (الطفل) حقدا تجاه والده والعار الذي جلبه لهم لأنه كان من المفترض أن يكون قدوة لأبنائه وسندا لهم في حياتهم بدل أن يكون سببا في ضياع مستقبلهم، لذلك وردت هذه الاسترجاعات التكرارية ليوضح لنا السارد السبب الرئيسي في تأزم حالتهم الاجتماعية هي إدمان والده على شرب الخمر.

ب- الاسترجاع الخارجي:(ExternalAnalsepse)

هو استحضار أحداث سابقة يكون مداها خارج سعة الحقل الزمني للمحكي الأول[24]، خلافا للاسترجاعات الداخلية التي تظل منحصرة داخله، وتوظف عادة قصد تزويد القارئ بمعلومات تكميلية تساعده على فهم ما جرى ويجري من الأحداث، إنه يمثل نوعا من التمازج والتنافر على مستوى المحكي،[25] ومن بعض الشواهد حول هذا النوع نجد:

-" تلك الليلة وقع حادث فاجع، لم أعرف به إلا في اليوم التالي، كان خال السيد خريستو، صاحب مشروع المزرعة والحوش الذي تسكنه فتصلا فخريا لإحدى الدول الأجنبية في حلب، وكان هذا الخال غنيا ،وهو صاحب قسم من الأراضي التي يبني عليها السيد خريستو مزرعته، وقد جاء من حلب إلى اسكندرية في سيارته "اللندونية" لبعض الأعمال ولزيارة ابن أخته، وبوصول السيارة إلى جسر قريب من حوش السيد على الطريق العام، نفرت فرس السيد أمام السيارة المسرعة ،فاصطدمت بها وهوت عن الجسر فقتل القنصل وزوجته، وكسرت ساق الفرس"[26].

يحيل هذا المقطع السردي إلى مدى بعيد ، لأن هذه الحادثة المأساوية التي انتهت بوفاة القنصل وزوجته وقتل الفرس لأن معالجتها قد فات ولا ينفع بشيء، عاشها الطفل حنّامينة في زمن ماض بعيد وظلت راسخة في ذاكرته ، وقد شغل هذا المقطع السردي العديد من صفحات الرواية من (17 إلى 30).

كان السارد يسرد ذكريات طفولته وحالته الاجتماعية القاهرة ، ثم تذكر حادثة زواج عروسين أطرشين، فخرج من زمن المحكي الأول " أيام الشقاء والبؤس" ، إلى زمن المحكي الثاني " أيام الأعراس" فقدم لنا بنية ذات سعة استذكارية بعيدة المدى شغلت من مساحة النص الروائي العديد من الصفحات من (177 إلى 192)،وهذا المقطع السردي يوضح ذلك في قوله: "وحين انتشر في الحي أن نيكولا الأطرش سيتزوج من هذه الفتاة البكماء اعتبر ذلك نكتة العام، كانت الأحاديث حوله لا تنقطع، والناس لا يصدقون (...)أقيم العرس أمام بيت السيد عبده، الشقيق الأكبر لنكولا الأطرش"[27].

وفي سياق حكائي آخر عمل السارد على استحضار شخصية " دلي كتور " التي شغلت من الحيز النصي ما يقارب 3 صفحات، أراد السارد التعريف بها وبوظيفتها التي ظلت تلاحقها عبر الزمان ، وهي وظيفة الشحاذة في قوله :"كانت "دلي كتور" عجوز منخورة (...)وكانت لها ابنة اسمها خريستين قيل إنها حملت سفاحا من رجل أرمني وأنجبت ولدا اسمه "مخزومي"..." دلي كتور" وحدها كانت من أهالي أسكندرونة في هذا الحي، وقيل أن أصلها من ماردين، ولا أحد يعلم كيف صارت لها قطعة الأرض هذه، وكيف بنت فيها بيتا من حجر بغرفتين وأجرت ما بقي لبناء ثلاثة أو أربعة أكواخ مثل كوخنا،

تأخذ عنها أجرة سنوية ضئيلة ، وما تبقى من دخلها يأتيها من الشحاذة، كانت شحاذة من نوع خاص، تطوف على الأسواق من الصباح إلى العصر"[28].

ج- الاسترجاع المختلط:

يمتزج فيه الاسترجاع الداخلي بالاسترجاع الخارجي، وهذا النوع لا يلجأ إليه إلا بصورة قليلة جدا، وهو يقوم على استرجاعات خارجية تمتد حتى تنضم إلى منطلق المحكي الأول وتتعداه [29]، ونورد هذا المثال الذي يظهر في تذكر السارد قصة الرجل الذي خرج من سجن الفرنسيين ونصيحة وجيه الحي له بعدم مقاومة المخرز، لأنه لا يستطيع إخراج الفرنسيين، فهذا استرجاع داخلي للأوضاع التي كان يعيشها المجتمع السوري نتيجة الاستعمار الفرنسي، وصعوبة النضال بسبب شكوك الناس في عدم تحقيقه واتهامهم بإثارة الفتن، ليتجلى الاسترجاع الخارجي في تذكر السارد حكاية المناضل الثوري روماس الأوكراني حينما قرأ كتاب مكسيم غوركي، فهذا الاسترجاع المختلط وظيفته تكميلية عند النقطة التي توقف عندها المحكي الأول ليفسح المجال للمحكي الثاني بأن يأخذ مساحة من الحيز النصي، وهو ما يتجلى في هذا السياق الحكائي قول السارد:"لكنني بعد عشرين عاما أو يزيد حين سمعت حكاية العين لا تقاوم محرزا مرة أخرى، تذكرت ذلك العامل صاحب القصة، ونصيحة وجيه الحي له، وقلت في نفسي: ها قد خرج الفرنسيون، وصارت الحركة النقابية ذات وزن، ولم يكن سدى أو وهما ما كان يفعله العمال الأوائل، الذين ناضلوا في الثلاثينات من هذا القرن ...لقد تعلمت في وقت مبكر، أن أصعب مافي النضال هو شك الذين تناضل لأجلهم، وتألبهم عليك، إذا ما خدعوا أو حرضوا من قبل عدوهم نفسه، ومحاولتهم قتلك لأنك خرجت على معتقداتهم .....وعندما وقع في يدي كتاب مكسيك غوركي، بعد ذلك بأعوام طوال، وقرأت ما عانى المناضل الثوري في العهد القيصري، روماس الأوكراني، من الفلاحين الذين ذهب لتوعيتهم، وجدت الجواب على تلك "لماذا" التي ارتسمت أمامي ذات يوم كبيرة منذرة"[30].

1-2-الاستباق:(Prolepsis)

هو أحد المفارقات الزمنية السردية التي تتجه إلى الأمام، تنبأ بحالة توقع وانتظار يعايشها القارئ أثناء قراءة النص ويطلق أيضا مصطلح " الاستشراف"، ويرى جيرار جينت بأن هذه التقنية أقل حضورا وتواترا من الاسترجاع في تقاليد الحكي الغربي، على الرغم من أن الملاحم الكبرى كالأوديسة، والإلياذة وغيرهما تبتدئ بنوع من الاستباق الزمني.[31]

ويرى أن هناك نوعين من الاستباق هما:

أ-الاستباق الداخلي:(Internalprolepsis)

يكون هذا النوع مثله مثل الاسترجاع، داخل زمن المحكي الأول دون أن يتجاوزه وهو يطرح أيضا مشكل التداخل والمزواجة الممكنة بين المحكي الأول والمحكي الاستباقي [32]،لكن يتميز عنه بكونه يؤدي دور الاستشراف والتنبؤ والإعلان في مقابل دور الاستحضار والتذكير،ومن بعض شواهد هذا النوع نجد :

-"أما أنا فسأعرف الدكتور شحادة بعد سنوات، عندما أمرض بالتفوئيد يحملني الوالد على ظهره إلى المستوصف، وهناك يعاينني هذا الطبيب، فعرف أنني مريض بالتفوئيد، فيقول للوالد : "خذه إلى البيت، وفي الطريق اشتر كيلو مشمش وأطعمه إياه...فيقول له:...أنت طبيب بلدية وتقول هذا الكلام ؟" قال الدكتور ضاحكا بخبث :" حسبتك من جماعة المشمش ..ابنك حالته خطيرة ...فإما أن يشفى أو يموت، قالها ببرودة لو سمعتها الوالدة لولولت ...وشفيت بعد نحو شهر أو أكثر وقضيت فترة نقاهة وأنا هيكل عظمي"[33].

يتنبأ السارد في هذا الحكي المستبق بأن مرضا سيصيبه في المستقبل يدعى تيفوئيد، ويكون سببا في زيارته (الطفل) إلى الطبيب شحادة المعروف بسخريته وذلّه للمرضى هذه الشخصية التي عكست مهنتها النبيلة، لذلك توقع سخرية الطبيب منه واستهزاء بمرضه وبوالده، ولكنه على يقين بأنه قادر على تجاوزه والمثول للشفاء بعد شهر أو أكثر لثقته بنفسه.

-" غير أن هذا المال لن يتوفر إلا بعد سنوات، لذلك كان على الوالدين أن يذهب لقطع العشب الذي ستضعه على السطح المصنوع على شكل "جملون " ليحمينا من مطر الشتاء" [34]، يتوقع السارد في هذا المقطع الاستباقي الحصول على المال وتوفره في المستقبل، الذي سيغير حالتهم الاجتماعية المزرية .

-"ولسوف أفكر بذلك عندما أكبر، وأستشعر أنني كنت نذلا صغيرا كنت جروا من حير "الصاز" ...ولسوف يقول لي أحد العمال يوما الفقر ليس عارا، بل خجلك من كونك فقيرا هو العار، تعلم أن رفعك رأسك أمام الأغنياء...وستدخل هذه الكلمات إلى قلبي وعقلي تستقر فيهما ...وسيأتي يوما أقول لها فيه ...كنت أخجل أن يعرف الناس أنك أمي، فأي ولد عاق أنا ؟ ...وستعانقني الأم وتقول لا عليك يابني ...والصغار لايعرفون أشياء كثيرة في هذا الوجود"[35].

يوضح السارد في هذه السابقة شخصيته المتشائمة من وضعه المأساوي،ومكانته المتدنية الشبيهة بالجرو، وربطه الفقر بالعار، لكنه يتوقع بأن يوما سيأتي ويكشف أن هذه الفكرة خاطئة حينما يغير أحد العمال هذه النظرة السوداوية، وبأن خجله هو العار وليس فقره، وبهذه السابقة يحاول التنفيس عن قهره من خلال أحلامه وطموحاته المستقبلية.

-"وإذا كان " الأبالسة" من الفلاحين الجهلاء لم يتوصلوا إلى شق المنزل وحرقه هذه المرة ، فهم يستوصلون إلى ذلك في المرة القادمة، سيقتلون الفلاح "إيزوت" الذي وعى الحقيقة"[36].

يوضح هذا المقطع السردي المفارقة بين الاسترجاع لأحداث ماضية أو استباق لأحداث لاحقة، فهذه المفارقة يمكنها أن تعود إلى الماضي أو إلى المستقبل وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة الحاضر أي عن لحظة القصة التي تقف فيها السرد من أجل أن يفسح المجال لها ( المفارقة).[37]

ب-الاستباق الخارجي: (Externalprolepsis)

هو"عبارة عن استشراف للأحداث خارج المدى الزمني للمحكي الأول يتوقف هذا المحكي، ليفسح المجال للمحكي المستبق بأن يصل إلى نهايته المنطقية"[38]، ومن بين الشواهد التي تمثل هذه التقنية نجد :

-" وبعد ثلاثين عاما من هذا التاريخ، سأجتمع يوما في بيروت برجل كهل...وسألني : أنت ابن فلان؟...كنت أرغب في خطبتها...لكن خالك رزق الله مانع ...سألت الأم عن ذلك قالت: إنه يخلط بيني وبين أختي،كان هذا الرجل يحب خالتك التي ضاعت في بلاد اليونان، وكان من أصدقاء خالك العزيزين "[39].

تحيل هذه السابقة إلى قصة توقع السارد الالتقاء بالرجل الذي أراد الزواج من أمه وهو في الحقيقة أحب خالته وبسبب الخلط بينهما تقدم إلى خطبة الأم لكن الخال رفضه، فهذا المقطع السردي مزج بين المحكي الاستباقي والمحكي الاستذكاري، فأحدث خلطا وتداخلا بينهما.

-" وقد صحت نبوءة الوالدة، فبعد عامين رزق نيكولا وزوجه مولودا... ويبدو أن الأم قد انقلبت في الفراش ليلا، وجاء جنبها على الرضيع الذي بكى ولم تسمعه، وهذا ما أدى إلى اختناقه"[40].

توضح هذه السابقة تنبأ أم حنامينة ( الطفل) بالمصيبة التي ستحل بكل من نيكولا وزوجته، في كيفية تعاملهما مع أولادهم مستقبلا لأنهما أطرشان، وقد تحققت هذه النبؤة بسبب عدم سماع الرضيع بكاء ابنها مما أدى إلى اختناقه ثم وفاته.

2- المدة الزمنية:

تظهر هذه التقنية ضمن مستويين هما : تسريع السرد وتبطئته .

2-1-تسريع السرد( الحكي):

تتحدد سرعة النص على حد اصطلاح جيرار جينت بالعلاقة بين مدة الحكاية التي تقاس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والأسابيع والشهور والسنين، وطول النص المقاس بالكلمات والأسطر والفقرات والصفحات وتظهر هذه التقنية في: الخلاصة، الحذف.

2-1-1 الخلاصة(Symmary)

يطلق عليها أيضا مصطلح "المجمل"، وهو تلخيص الأحداث في بضع فقرات أو بضع صفحات لعدة أيام أو شهور أو سنوات من الوجود دون ذكر كل التفاصيل، ويرمز له جيرار جينت بالمعادلة التالية : زمن السرد= زمن الحكاية[41].

ونورد بعض الأمثلة على ذلك من بينها:

-" بعد شهر عاد الوالد من رحلته، كان مخفقا كعادته، وقد باع أغراضه وثيابه حتى رجع، وأعلم الوالدة أنه لم يصل بيروت لأن الرجل خدعه فزين له أن يعمل في طرابلس.... ولما كسدت مرطباته ضاقت به الحال باع العدة والحاكيت، ودفع أجرة السفر من طرابلس إلى اسكندرونة فوصل سالما ولكن مفلسا "[42].

قدم السارد هنا ملخصا عن الرحلة التي عاشها والده مع الرجل الذي وثق فيه لكنه خدعه مما جعله مفلسا فلخص هذه الأحداث بشكل سريع دون تقديم تفاصيل دقيقة عنها وما يهمه هي الأحداث الزمنية الرئيسية فحسب.

-" ولقد انتظرت طويلا، في البرد والريح، وعدت إلى البيت والحقل، وداومت ذلك أياما فلم يعلق عصفور واحد في فخي، ويبدو أن العصافير فيها أشفقت علي، وهكذا في الأصيل من أحد الأيام، عدت إلى حيث طمرت الفخ فوجدت مكانه خاليا معنى هذا أن عصفورا ما قد وقع عليه"[43].

توضح لنا هذه الخلاصة العذاب الذي لقيه حنّا مينة جراء محاولة اصطياده عصفورا وانتظاره الطويل في أيام البرد لتحقيق هذه الرغبة، وقد اكتفى بذكره هذه المعاناة بشكل سريع متجاوزا الأحداث الثانوية.

-"وقد كان فايز موهوبا ومحترما كما بدا لي، لأنه عاد من سجن حلب بعد سنين قضاهما فيه، وشاعت أقوال كثيرة في الحي عن سجنه محاكمته أمام محكمة فرنسية، وقيل إنهم قبضوا عليه في مغارة في جبل معين، حيث كان يعقد الاجتماعات مع رفاقه، وأنهم كبلوه بالحديد واستجوبوه بعد تعذيب شديد لكنه لم يعترف بشيء فساقوه إلى حلب وهناك كانوا يحمون "الصاج" الحديدي ويجلسونه عليه، كما أنهم قلعوا أظافره، ومع ذلك رفض أن يبوح بأسماء رفاقه "[44].

يروي السارد قصة شغله وسجنه وكل أشكال التعذيب الذي تعرض له بغية البوح بأسماء أصدقائه، إلا أنه أبى وفضل الموت على أن يذكر اسما من أسماءهم، فهذه الحكاية لخصت لنا شجاعته وإخلاصه لأصدقائه ووطنه معا، بل غدا "أسطورة الحي ومثار اهتمام رجاله ونسائه على السواء".[45]

2-1-2 الحذف(Ellipse ):

هو أحد تقنيات تسريع السرد، يمثل أقصى سرعة ممكنة يركبها السرد وتتمثل في تخطية للحظات حكائية بأكملها دون الإشارة لما حدث فيها، وكأنها ليست جزء من المتن الحكائي [46]، وهو نوعان :حذف محدد وحذف غير محدد وقد تم توظيف هذه التقنية في الرواية بكثرة ومن بين الأمثلة على ذلك نجد :

-" في هذا الكوخ، وهذا الحي مكثنا حوالي عشرة أعوام، حتى هجرتنا من اللواء، عندما دخلته تركيا عام 1939"[47].

يتضمن هذا السياق الحكائي حذفا محددا لكل الأحداث التي وقعت خلال العشر سنوات فالسارد لم يرد ذكر هذه الأحداث ربما لأنها بعيدة عن مقاصده الحكائية، مما يجعل المتلقي يتساءل "ماذا وقع خلال هذه المدة المحذوفة التي أوجدت نوعا من الفراغ في مسار الحكي الروائي الذي يزول بإدراك المضمون الحكائي للخبر الذي يضيفه الحذف" [48].

_"وبعد شهر من ذلك ولدت أمي بنتا، وقد كانت خائفة أن تكون ضريرة أيضا، لكنها كانت سليمة البصر وقد فرحنا بذلك فرحا كثيرا"[49].

عمد السارد على إسقاط الأحداث التي وقعت في فترة شهر لأنها لاتهمه في المتن الحكائي فما يهمه هو الحدث الخاص بولادة أخته سليمة معافة وأن لا تكون مثل أخته الأولى.

-" أما في الكبر فقد كان لي صديقا وعندما، بعد سنوات طوال دخلت السجن، لقني عند خروجي مرحبا، كان قد تقاعد"[50].

أدى هذا الحذف غير محدد إلى تسريع وتيرة الحكي، حيث تم إضمار أحداث فترة طويلة في بضعة كلمات فحسب، وكأنه أراد تجاوز هذه الحادثة وعدم العودة إلى ذكرها بكل تفاصيلها لذلك أراد إسقاط أحداثها من ذاكرته.

كما استخدم السارد في سياقات حكائية أخرى علامات الحذف التي أتت على شكل نقاط محذوفة، وتكررت هذه الظاهرة في العديد من صفحات الرواية وهدفه هو فتح مجال التأويل أمام القارئ باعتباره هو الآخر مشاركا في عملية إنتاج النص، ومن بين الأمثلة على ذلك نجد :

" صحيح ...لكنها ليست شيئا بالنسبة إليك، أنت...قاطعة مهما يكن....الديباجة هي الديباجة .....هي المكتوب كله...."[51]

_"هو لا يخاف السجن ..... أليس كذلك؟ هو أشجع الجميع ....."[52]

_"كفى .....عودي إلى البيت ...لا أستطيع ....لقد اخترقت. أريد مالا ..... أعطني ، أرجوك "[53]

2-تبطئة السرد:

يظهر هذا النوع في تقنيتين زمنيتين هما: تقنية الوصف وتقنية المشهد، اللذان يعملان على "تهدئة حركة السرد إلى الحد الذي يوهم القارئ بتوقفه عن النمو تماما أو بتطابق الزمنيين : زمن السرد وزمن الحكاية "[54].

2-1-الوقفة الوصفية (Descriptive Stop):

تعمل هذه التقنية على إبطاء زمن السرد، من خلال وصف الأمكنة، الشخصيات وغيرها، فهي تقنية ملازمة لأي نص سردي، والمتصفح لرواية "المستنقع" يلاحظ حضورا مكثفا لوصف الشخصيات والبعض منها وصفا للمكان ومن الأمثلة على ذلك نجد:

-"وهناك دخلنا على المدير الذي كان رجلا أسود الشعر، أبيض البشرة في عينيه جحوظ خفيف لكنه أجمل من كل من رأيت من الرجال باستثناء والدي"[55]، يقدم هذا السياق الوصفي مجموعة من المواصفات الخاصة بالمدير بهدف توضيح ملامحه وصورته الفوتوغرافية للقارئ وإبراز شخصيته المتميزة.

-" وكان في المدينة مستوصف تابع للبلدية، يعمل فيه طبيب واسمه الدكتور شحادة، وهو ذو كرش بارز ووجه مترهل، جامد ينظر إلى المرضى الفقراء نظراته إلى حشرات"[56].

عمل هذا السياق الوصفي على تشكيل صورة هذه الشخصية الحكائية المتسلطة والساخرة في ذهن القارئ فهذا الوصف جعل من شخصية الطبيب شخصية منبوذة عند سكان الحي.

وفي مثال آخر وصف فيه شخصية كاتب المكاتيب وهو أحد شخصيات الرواية :

-" هذا هو كاتب المكاتيب بوجهه الطولاني، النحيل، وأنفه الرقيق البارز، وشحوبه الذي ازداد امتقاعا بما انعكس عليه من ضوء الفانوس فوق رأسه "[57].

أما الوقفة الخاصة بوصف الأماكن فقد تمثلت في وصف الكنيسة، المستنقع، المدرسة وغيرها، وهذه السياقات الوصفية توضح ذلك :

-"كانت المدرسة بناء من أربع غرف، يليه بناء صغير من غرفتين، اتخذه المدير سكنا له، تليه حديقة صغيرة، وكان البناءان كلاهما في طرف من باحة الكنيسة "[58].

-" ومرة رأيت باب الكنيسة مفتوحا في غير أوقات الصلاة، فدفعني فضولي إلى الدخول، كانت مستطيلة، ذات قبة عالية، عليها أربع صور للقديسين الأربعة... وكانت الكنيسة تنتهي بجدار فيه ثلاثة أبواب، أحدها في الوسط والاثنان على الجانبين، وكان هذا الجدار لايصل إلى السقف، بل يفصل الكنيسة على الهيكل، وعلى طول الجدار صور للقديسين في أوضاع مختلفة، وثمة، على جانبي الكنيسة، مقاعد، وحاملات شموع، وفي أعلى جدران الكنيسة نوافذ ذات زجاج ملون وخاصة في أعلى استدارة الهيكل، وكانت للنوافذ تخاريم خشبية، في كل تخريمة قطعة زجاج ذات لون يختلف عن لون التخريمة الأخرى، وكان انعكاس الشمس عليها يعطيها ألوانا قوس قزح بهيجة"[59].

أعطى لنا السارد وصفا دقيقا حول المكان الموصوف، باستعمال الرؤية الدالة على الوصف البصري، كأنه بوصفه هذا يقدم لنا شريطا سينمائيا تنتقل عدسة الكاميرا فيه من مكان إلى آخر ، "فهذا الوصف ارتبط بموصوف يتحرك أو بموصوف ذي حيز مكاني واسع ، فيه نوع من الحركة، يمكن أن يعد أقرب إلى التصوير السينمائي منه إلى التصوير الفوتوغرافي ".[60]

كما وصف لنا المستنقع هذا المكان الذي جرت فيه الأحداث وصفا دقيقا ومفصلا لتقريب الصورة للمتلقي وتوضيح مدى المعاناة وشدة الفقر التي عاشها حنّامينة هو وعائلته وسكان حيه، فالكاميرا هنا هي عين حنّا مينة الواصفة التي استطاع عبرها أن يجعلنا أمام وصف بانورامي لهذا المكان المأساوي الذي لايليق بالإنسان العيش فيه، وهذا السياق الوصفي يوضح ذلك في قوله:"بدأت حياتنا في حي الصاز...وكان الحي يقع في منخفض عن الطريق العام عند مدخل المدينة...وكان يمتد من الطريق العام إلى البحر، وتنبت فيه بكثرة النباتات المستنقعية، وكانت أرضه واطئة عن مستوى المدينة، ذات رائحة نتنة...تغمرها المياه في الشتاء وأغلب الصيف وترتفع فيها أدغال "البردي" ذات الأغصان الأبرية كالمسلات...وكانت مياه هذا المستنقع مالحة، تتجمع مما يخلفه البحر عند انحساره في الصيف...وتحت هذه الأرضية تعيش كل أنواع الحشرات، من الجرذان والفئران إلى الضفادع والأفاعي "[61].

2-2-المشهد:(Scene)

هو التقنية "التي يقوم الراوي فيها باختيار المواقف المهمة من الأحداث الروائية وعرضها عرضا مسرحيا مركزا تفصيليا "[62]، من خلال حوار الشخصيات مع الآخرين أو مع ذاتها، وقد حظيت الرواية بمشاهد حوارية شغلت مساحة النص الروائي العديد من الصفحات ما أضفى حيوية على النص وتنوعت هذه المشاهد بين حوارات خارجية وأخرى داخلية، ومن الأمثلة على ذلك نجد :

-الحوار الخارجي الذي حدث بين السارد (حنامينة) وأمه حول العجوز "دلي كتور" في قوله ":

- ومن أرسلك معها.
- والدي
- ياللمصيبة؟ وهل شحذت ياصغيري؟
- ...رفضت الصدقة ...رفضت أن أمد يدي إلى أحد.
- أحسنت ...أنت ابن مدرسة...كيف أرسلك والدك مع هذه المجنونة ؟ يا إلهي الطيب، هل نصبح شحاذين بعد كل الذي جرى معنا"[63].

يوضح هذا المشهد الحواري مدى علاقة الأم بابنها ووعيها الثقافي والاجتماعي والثقة التي تتمتع بها من خلال نهيها للابن بعدم التسول، لأنه شخص متعلم مثقف على الرغم من الظروف القاسية التي تعيشها هذه الأسرة إلا أنها رفضت أن يصبح ابنها شحاذا.

بالإضافة إلى حوار آخر حدث بين حنّامينة والمدير في قوله :

-" من كتب هذا ؟ ...

- واقترب مني وأمسك بشعري فرفع رأسي إلى أعلى كان المدير مشهورا بقسوته...

-اعترفت أنني كاتب بيت الشعر، تمتمت بذلك دون أن أنظر إليه وعندئذ صاح بي:

-أتعرف مامعنى هذا

-أجبت بالنفي ...أتكذب أيضا ؟ قل لي عن أي بلد قيل هذا الشعر ؟ وأومأت المعلمة برأسها أن أقول، وإلا أخاف فجمعت شجاعتي وقلت: عن فلسطين ؟ ....وما علاقتك بها ؟ وما علاقة المدرسة بالثورة الفلسطينية؟ ألا تعرف أن هذه مدرسة دينية ؟..."[64].

يورد هذا المشهد الحواري مدى قساوة المدير في تعامله مع تلاميذه وتجاهله للقضية الفلسطينية، ومنعه للتلاميذ في التعبير عن مشاعرهم تجاه هذه الثورة معللا ذلك بنوعية المدرسة والكتب الدينية التي يتعلمونها، فهذه الحادثة أيضا أثرت في ذهن السارد وأوردها لما تحمله من دلالات عميقة حول هذه القضية.

أما الحوار الداخلي (المونولوج) فقد ورد بنسبة قليلة مقارنة مع الحوار الخارجي ومن بعض الأمثلة على ذلك نجد:

-"فأجلس عليه وحيدا، منفردا بنفسي، متسائلا: لماذا نحن فقراء إلى هذا الحد؟ ولماذا في الدنيا بؤس بهذا المقدار ؟ وما سبب أن بعض أولاد جيراننا لا تخدم أمهاتهم في بيوت الناس، ولا يأتين في الأعياد ليقفن في طابور التوزيع؟ وهل سبب ذلك أننا خطاة كما تقول أمي؟...ولماذا لا يعمل أبي كسائر الآباء ويكسب ما يكفينا مثلهم؟ لماذا لا يترك صنعة "المشبك" ويعمل حمالا في الميناء ؟..."[65].

هذا السياق الحواري هو عبارة عن جملة من التساؤلات طرحها حنّامينة على نفسه حول حالته الاجتماعية المزرية مقارنة بأحوال الناس وشدة تفكيره في الفقر والبؤس ووضع والديه كما أنه ليس كبقية الأطفال، معتقدا أن سبب ذلك عائدا إلى ارتكابهم المعاصي فأصبحوا من الخطاة لذلك عوقبوا بالفقر.

وفي ختام هذه الدراسة يتضح لنا بأن رواية "المستنقع" قد غلب عليها استرجاع للأحداث الماضية البعيدة عن طريق الذاكرة التي لعبت دورا كبيرا في استحضار هذا الكم الهائل من الأحداث بكل تفاصيلها وجزئياتها وأن عودة السارد حنّا مينة إلى

الماضي واستحضار كل محطات حياته الحزينة بدا تأثيره واضحا في لغته وتصويره هذه المشاهد الحكائية، الأمر الذي جعل الصورة قريبة جدا في مخيلة المتلقي ليشارك في تصور هذه المنظومة من الأحداث، ويتيح له القدرة على التفسير والتأويل كما منح للنص بعدا جماليا ساهم بدرجة كبيرة في تشكيل بنية الخطاب الروائي، من خلال هذا التوظيف المختلف لتقنيات الزمن التي وردت في النص بنسب متفاوتة.

الهوامش:

[1]-الشريف حبيلة، مكونات الخطاب السردي، مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص:01

(*) **علم السرد أو السردية** (Narratologie)هو المصطلح الذي اقترحه تودروف تسميته عام 1969، وهو فرع من أصل كبير هو **الشعرية** (Poetique)التي تعنى باستنباط القوانين الداخلية للأجناس الأدبية واستخراج النظم التي تحكمها، والقواعد التي توجه أبنيتها وتحدد خصائصها وسماتها، ينظر تزفيتان تودروف، الشعرية، تر، شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، ط1، 1987، ص: 23. و**السردية** هي بحث في مكونات البنية السردية للخطاب من راو ومروي ومروي له، فهي العلم الذي يعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوبا وبناء ودلالة. ينظر عبد الله إبراهيم، السردية العربية، بحث في الموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1992، ص: 09.

(**) جمع بروب في كتابه السابق الذكر مئة حكاية شعبية روسية وقام بدراستها فاستخلص 31 وظيفة وقلصها في سبعة دوائر الفعل ثم جاء غريملس ولخصها في ستة عوامل، لذلك يشكل كتابه منطلقا حاسما في تطور الدراسات البنيوية والسيميائية على حد سواء. ينظر رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة، الجزائر، دط، 2000، ص: 29.

(***)برزت الجهود النقدية التي قدمها جيرار جينت لنظرية السرد بالتحديد في كتابه "خطاب الحكاية" الذي ترجم إلى العربية محمد معتصم وآخرون،حيث قدم فيه دراسة تطبيقية حلل فيها رواية "بحثا من الزمن الضائع " ( la Recherche du temps perdu) لـ مارسيل بروست (M.Proust )، مطبقا عليها مقولات: الزمن، الصيغة والصوت، وهذا الكتاب هو بمثابة مراجعة للأخطاء التي وقع فيها سابقا في كتب الأشكال I.II التي وجهها له النقاد ، ولأهمية عمله النقدي سار على منواله الكثير من النقاد الغربيين أمثال : لاميرت، كلنيثبروكس، روبرت بن وارين ، جينثر مولر، جان روسيه، جيرالد برنس ...ينظر رامان سلدن، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، مراجعة وإشراف: ماري تريز عبد المسيح، المجلس الأعلى للثقافة، مج8، ط1، 2006، ص: 202.

(****) الجدير بالذكر أن مقولة الزمن قد شغلت اهتمام الفلاسفة أمثال : القديس أوغسطين، كانط ، هوسرل ، هيدغر وغيرهم منذ القديم ، لأنها من الأبعاد الغامضة والهلامية المستعصية على القياس الدقيق بسبب ارتباطه بكل مظاهر الوجود الإنساني، لذلك سئل القديس أوغسطين عن ماهو الزمن ؟ فقال : إذا لم أسأل، فإني أعرف، أما إذ سألني أحدهم وأوردت الإجابة فإني لا أعرف، ينظر عمر عيلان، الأيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، دط،2001، ص:271.

[2]-مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية ودار الفارس، بيروت، عمان، ط1، 2005، ص:233.

[3]-إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية، الجزائر، دط، دت، ص: 97

(*)رواية **المستنقع** هي رواية طويلة للأديب السوري الراحل حنّامينة، وهي جزء من ثلاثيته المشهورة : **بقايا الصور، المستنقع، القطاف.**

(**) يحمل مصطلح الاسترجاع العديد من التسميات هي: الرجعات، الاستذكار، العودة إلى الخلف، فلاش باك.

[4]-أحمد حمد النعيمي،الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1999،1،ص:34.

[5]-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، دط، دت، ص:121.

[6]-ينظر تزفيتان تودروف، الشعرية، ص: 23.

[7]-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:125،126

[8]-عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، الأمنية، دمشق، ط1، 1999،ص:154.

[9] -حنّا مينة، المستنقع، دار الآداب، بيروت، ط7، 2003، ص:6.5.

[10]-المصدر نفسه، ص:14.

[11]-المصدر نفسه، ص:52.51

[12]-المصدر نفسه، ص:59

[13]- المصدر نفسه،ص:124.

[14]-المصدر نفسه، ص:273

[15]-المصدر نفسه، ص:278

[16]-ينظر جيرار جينت، خطاب الحكاية، تر : محمد معتصم وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص:62.

[17]-الرواية، ص: 48.47.45.44

[18]-المصدر نفسه، ص: 96.95

[19]-ينظر جيرار جينت، خطاب الحكاية، ص:64.

[20]-الرواية، ص:33.

[21]-المصدر نفسه، ص:75.

[22]-المصدر نفسه، ص:111.

[23]-المصدر نفسه،ص:387

[24]- ينظر جيرار جينت، خطاب الحكاية،ص:60.

[25]-عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي ، ص:155.

[26]-الرواية، ص:17.

[27]-المصدر نفسه، ص:178.177

[28]-المصدر نفسه، ص:56.55

[29]-ينظر جيرار جينت، خطاب الحكاية، ص:70.

[30]-الرواية ، ص:266.265

[31]-ينظر جيرار جينت، خطاب الحكاية، ص:76.

[32]-المرجع نفسه ، ص:79.

[33]-الرواية، ص: 54.

[34]-المصدر نفسه، ص: 51.

[35]-المصدر نفسه، ص : 95.94

[36]-المصدر نفسه، ص: 268.

[37]-ينظر حميد لحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص:75.74

[38]-ينظر جيرار جينت، خطاب الحكاية، ص:77.

[39]-الرواية، ص:129.128

[40]-المصدر نفسه، ص:191.

[41]-ينظر جيرار جينت، خطاب الحكاية، ص:109.

[42]-الرواية، ص: 202.

[43]-المصدر نفسه، ص: 195.

[44]-المصدر نفسه، ص: 249.

[45]-المصدر نفسه، ص: 250.

[46]-عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، ص:164.

[47]-الرواية، ص:66.

[48]-ينظر مرشد أحمد، البنية والدلالة، ص:293.

[49]-الرواية ، ص :126.

[50]-المصدر نفسه ،ص:181.

[51]-المصدر نفسه ، ص:84.

[52]-نفسه ،ص:260.

[53]-نفسه ، ص:421.420

[54]-ينظر آمنة يوسف، تقنيات السرد، دار الحوار، سوريا، ط1997،1، ص:89.88.

[55]-الرواية، ص:37.

[56]-المصدر نفسه، ص:53.

[57]-نفسه، ص:80.

[58]-نفسه، ص:31.

[59]-نفسه، ص:34.33

[60]-مرشد أحمد، البنية والدلالة، ص:316.

[61]-الرواية ،ص:60.59.58

[62]-عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول،ع2، 1993، ص:139.

[63]- الرواية ،ص:57.

[64]-المصدر نفسه، ص:369.368.

[65]-نفسه، ص:92.